رسالة في

الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف

تأليف

علامة القصيم الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي الحنبلي

١٣٠٧ - ١٣٧٦



دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع

الدار الأثرية للنشر والتوزيع

رسالة في
الحث على
اجتماع كلمة المسلمين
وذم التفرق والاختلاف

الطَّبعَةُ الأُولَى

1433هـ - 2012م

رقم الإيداع: 2011/21553

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: 0020183620864
dar-elatharia@yahoo.fr - elannabi1970@hotmail.com

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جوال: 0020107610099
Dar_sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_sabilelmomnen@hotmail.com
موقعنا على الإنترنت:
www. darsabilelmomnen.com

رسالة في

الحث على اجتماع كلمة المسلمين

وذم التفرق والاختلاف

تأليف

العلامة القصيم الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي الحنبلي

١٣٠٧ - ١٣٧٦

تحقيق

عبد الله بن زيد بن مسلم

الدار الأثرية

للنشر والتوزيع

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

التاريخ: [illegible]

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم، أما بعد:

فلا تزال فوائد شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تتجدد حتى بعد وفاته، ولا تزال تخرج بين الفينة والأخرى من رسائله وكتبه المحتوية على الفوائد الثمينة والنصائح المستنيرة، وكان رحمه الله نعم العالم الناصح والمربي الصالح.

وها هو في هذه الرسالة، المختصرة في محتواها، العزيزة في معناها، يوجه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامهم أن تتفق كلمتهم، وتجتمع قلوبهم معتصمين بحبل الله جميعاً، ومحذراً لهم من الفرقة والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والقطيعة والمفسدة.

وقد بين رحمه الله مكانة العلماء العاملين في الأمة الإسلامية وحاجة المسلمين لهم وماذا يجب على الناس تجاههم من المحبة والتقدير ومعرفة حقهم وتنزيلهم المنزلة اللائقة بهم، ولم ينس رحمه الله توجيه النصح لطلاب العلم وتحذيرهم من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة وغير ذلك من الفوائد المنثورة في ثنايا هذه الرسالة.

وقد اعتنى فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم بهذه الرسالة مقابلة وتحقيقا مع ضم حواشي مفيدة ضمنها كلاما للمؤلف، استخلصه من كتبه الأخرى يتعلق بموضوعها، فجزاه الله خيرا على عنايته بهذه الرسالة.

وإني أوصي إخواني وأبنائي الطلاب وعموم المسلمين بقراءة هذه الرسالة والاستفادة مما تضمنته من تلك النصائح والتوجيهات، داعيا الله تعالى أن ينفع بها من كتبها أو قرأها أو سمعها أو استفاد منها، وكتبه الفقير إلى الله عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً، حامداً لله مصلياً مسلماً على نبيه ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. [illegible]



الرياض ... ص.ب [illegible] الرمز البريدي [illegible] المملكة العربية السعودية هاتف [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة عبد اللَّه بن عبد العزيز بن عقيل

الحمد للَّه الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم.

وصلى اللَّه على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وبارك.

أما بعد:

فلا تزال فوائد شيخنا، العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تتجدَّد، حتى بعد وفاته، وذلك مما يخرج بين الفَيْنَة والأخرى من رسائله وكُتُبه؛ المحتوية على الفوائد الثمينة، والنصائح السَّدِيدة، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ نِعْمَ المعلِّم الناصح، والمربِّي الصالح.

وهاهو في هذه الرسالة، الممتعة الصغيرة في محتواها،

الغزيرة في معناها، يوجِّه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامِّهم أن تتفقَ كلمتُهم، وتجتمعَ قلوبُهم، معتصمين بحَبْل اللَّه جميعًا، ومحذرًا لهم من الفرقة والاختلاف المؤدِّي إلى التشاحُن والقطيعة والبغضاء.

وقد بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ مكانةَ العلماء العاملين في الأمة الإسلامية، وحاجةَ المسلمين لهم، وماذا يجب على الناس تجاههم من المحبَّة والتقدير، ومعرفة حقِّهم؛ وتنزيلهم المنزلةَ اللائقة بهم، ولم يَنْسَ رَحِمَهُ اللَّهُ توجيه النُّصْحِ لطُلَّاب العلم، وتحذيرَهم من الأخلاق الرديئة، والصفات الذميمة، وغيرَ ذلك من الفوائد المنثورة في ثنايا هذه الرسالة.

وقد اعتنى فضيلة الشيخ، عبد اللَّه بن زيد بن مسلم، آل مسلم بهذه الرسالة، مقابلة وتحقيقًا، مع ضَمِّ حواشٍ مفيدة، ضمَّنها كلامًا للمؤلِّف، استخلصه من كُتبٍ له أخرى، تتعلَّق بموضوعها، فجزاه اللَّه خيرًا على عنايته بهذه الرسالة.

وإني أوصي أخواني، وأبنائي الطلاب، وعموم

المسلمين بقراءة هذه الرسالة، والاستفادة مما تضمَّنته من تلك النصائح والتوجيهات، داعيًا اللَّه تعالى أن ينفع بها مَنْ كَتَبَها، أو قرأها، أو سَمِعَها، أو استفاد منها.

وكتبه الفقير إلى اللَّه
عبد اللَّه بن عبد العزيز بن عقيل
رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا
حامدًا اللَّه مصليًّا مسلمًا على عبده ورسوله
محمد، وآله وصحبه أجمعين

* * *

المقدمة

إن الحمد للَّه، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّه من شُرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذه درة نفيسة، ورسالة فريدة[1] سطرتها يَرَاع الشيخ الفقيه، المفسِّر، عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه اللَّه تعالى-، موجِّهًا النصيحة فيها لعموم الأمة، وحاثًّا لها على

---

(١) أمدني بصورة منها، فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن عبد اللَّه الدوسري -جزاه اللَّه خيرًا، وشكر سعيه، وغفر له ولوالديه.

اجتماع كلمتها، ومحذِّرًا لها من التفرُّق والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والبغضاء.

والأمة الإسلامية اليوم أحوجُ ما تكون إلى ائتلافها، واجتماع شَمْلها، ورَأْبِ صَدْعها مبتعدة كل البُعد عن الحزبيات والتراشق بالكلمات، واتهام النيَّات، ما دام أن الجميع تحت مظلة أهل السنة والجماعة يقفون أثر سلف الأمة أهل القرون المفضلة، يتبعون لا يبتدعون.

وأحسب أن الشيخ عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو المتوفَّى عام ١٣٧٦هـ، قد وضع النقاط على الحروف في هذه الرسالة، فرحمه اللَّه رحمةً واسعة، وأجْزَل له الأجر والمَثُوبة، فقمت بالاعتناء بها، ونَشْرِها؛ ليعُمَّ نفعُها بتوفيقٍ من اللَّه عَزَّوَجَلَّ[١].

واللَّه أسألُ الإخلاص في القول والعمل، والتوفيق والسداد.

---

(١) قلت: قد قرأت هذه الرسالة، على فضيلة شيخنا، العلامة عبد اللَّه بن عبد العزيز بن عقيل، حفظه اللَّه ورعاه، بعد مغرب يوم الجمعة، الموافق ٢٨/ ٦/ ١٤٢٨هـ.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتب

عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم

١ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وعليه أتوكل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فإن الله
خلق خلقه من العدم وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ليعبدوه وحده
لا شريك له ويطيعوه ويتقوه ويداوموا ذكره وحثهم على أداء حقوقه وحقوق عباده
اللازمة والمستحبة التي شرعها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهي شعب كثيرة
وأقسام فمنها ما هو أصول ومنها ما هو أحكام ومنها ما هو قواعد كلية تندرج تحتها
كثير من الأحكام الجزئية ومنها مقاصد ومطالب ومنها ما هو وسائل إليها
وكلها ترجع لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ومن أعظم
الأوامر الإلهية والشرائع السماوية والوصايا النبوية الاعتصام بحبل الله جميعاً
واتفاق كلمة المسلمين واجتماعهم وائتلافهم والحث على هذا بكل طريق موصل إليه من الأقوال
والأعمال والتعاون على ذلك قولاً وفعلاً والنهي عن التفرق والاختلاف
وتشتيت شمل المسلمين والتحذير عن جميع الطرق الموصلة إليه بحسب القدرة والإمكان
وقد دل على هذا الأصل العظيم الكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم
إلى يوم الدين قال تعالى آمراً عباده بالتمسك بحبله الذي هو دينه والاجتماع عليه
ناهياً لهم عن التفرق والاختلاف ممتناً على عباده بنعمته لهم لذلك يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله
جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته إخواناً الآية وقال تعالى ناهياً عن التنازع والاختلاف محذراً لهم من سيء الفشل
وعدم النصرة على الأعداء ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقال محذراً عباده

صورة الصفحة الأولى من الرسالة

سعى رحمه الله بما يرى أنه معارض لقول له تدرب بسببه وصار له ملكة تعينه على
ذلك بحيث لا يبالي بالمعارضة من صغير وكبير بل قد تراه يتعلق القول الذي
جاز جانبه ثم يظهر له عكس ما جزم به فيعيد بغير تعجل ولا مكابرة بل يقصد
الوصول إلى الحق والتصحيح للخلق وهذه الحالة تحمل العبد إلى هذا الخلق الذي
لا يلقاه إلا ذو حظ عظيم ومنها أن المعلم إذا تعود للتعليم على
هذه الطريقة الحسنة أو غيرها من الطرق الحسنة صار سببا لاستمراره
إكمال تعليمه فعلم منهم وتربى بهم لأنهم يعرفون على ما تربوا عليه فيحصل لديه
أكثر مما لا يحصله إلا بها ومنها أنه يعرف بذلك مراتبهم [illegible] ودرجاتهم
في التحصيل ومعرفة مراتب الناس في هذا الأمر خصوصا من له التدريس فيهم
فإنه يحتاج بل يضطر إلى ذلك لأجل عليه كيف لأن عليه لا يتم إلا بتنزيلهم
منازلهم وإعطاء كل ما يستحقه ومنها أن ذلك يوجب الثقة لقوله
لأن من وقف هذه الحالة وبين للصواب وعلم من نفسه على نفسه هذا الباب فقد
حصل على غاية الإحسان من العلم والعمل والثواب والخطر العظيم يستتبع
الخلق الذي يؤثر ما يؤثره من التعليم وقلة النتائج وعدم النصح
التي هي أس التعليم بل أس كل عمل والإعجاب بالنفس وعدم الثقة بقوله
وتم ذلك ونسأل الله أن يجعلنا موفقين للصواب وأن يصرفنا عن كل
شيء من الكذب والحمد لله على يد معلقه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر
ابن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين اللهم صل على محمد

١٣٤٣

٦ ج

صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة

نَصُّ الرِّسَالة المحقَّق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين وعليه أتوكل

الحمدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ اللَّه تعالى خلقَ خلقَه من العَدَم، وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئًا، مذكورًا ليعبدوه وحده لا شريك له، ويطيعوه ويتَّقوه، ومدارُ ذِكْره، ومرجعه على أداء حقوقه، وحقوق عباده اللازمة والمستحبَّة، التي شَرَعها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وهي شُعَب كثيرة، وأقسام، فمنها: ما هو أصل، ومنها: ما هو أحكام، ومنها: ما هو قواعد كُلِّيَّة، تندرج تحتها كثيرٌ من الأحكام الجزئية، ومنها: مقاصد ومطالب، ومنها: ما هو موصِّل إليها، وكلها ترجع إلى

تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها[١].

فمن أعظم الأوامر الإلهية، والشرائع السماوية، والوصايا النبوية: الاعتصام بحَبْل اللَّه جميعًا، واتفاق كلمة المسلمين واجتماعهم وائتلافهم، والحثُّ على هذا بكلِّ طريق موصِّل إليه، من الأعمال والأقوال والتعاون على ذلك قولًا وفعلًا، والنهيُ عن التفرق والاختلاف، وتشتيتِ شَمْلِ المسلمين، والزَّجْرِ عن جميع الطرق الموصِّلة إليه بحَسَب القُدرة والإمكان، وقد دلَّ على هذا الأصل العظيم الكتابُ والسنةُ، وإجماعُ الأنبياء والمرسلين وأتباعِهم إلى يوم الدين.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إعلام الموقعين» (٣/ ٣): «.. فإن الشريعة مبناها، وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المَعَاش والمَعَاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلُّها، ومصالحُ كلُّها، وحكمةٌ كلُّها، فكل مسألة خرجت عن العَدْل إلى الجَوْر، وعن الرحمة إلى ضدِّها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدلُ اللَّه بين عباده، ورحمتُه بين خلقه، وظلُّه في أرضه، وحكمتُه الدالة عليه، وعلى صِدْقِ رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها».

قال تعالى -آمرًا عباده بالتمسُّك بحَبْله الذي هو دينُه والاجتماعِ عليه، ناهيًا لهم عن التفرُّق والاختلاف ممتنًا على عباده بتوفيقه، لهم لذلك-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣] الآية.

وقال تعالى -ناهيًا عن التنازع والاختلاف، مخبرًا أنه سببٌ للفشَل وعدم النصر على الأعداء-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال -مذكِّرًا عبادَه بنعمته التي لا يَقْدِر عليها إلا العزيز الحكيم-: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الأنفال: ٦٣]. الآية.

وقال -ذامًّا المنافقين بتباغُضِهم، وتفرُّق قلوبهم، ولو اجتمعت أجسامُهم-: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

وقال ﷻ -ممتنًّا على رسوله بلِينِه للمخالطين الداعي

لتأليفهم واجتماعهم، وعدم تفرُّقهم-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. الآية.

ووصف اللَّه المؤمنين بأنهم: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ووصف رسولَه بأنه: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم البرِّ: السعيُ في جَمْع كلمة المسلمين، واتفاقهم بكلِّ طريق، كما أن السَّعْيَ في تفريق كلمة المسلمين من أعظم التعاون على الإثم والعدوان.

وقد قصَّ اللَّه علينا في كتابه سيرة الرُّسُل الذي بعثهم لتبليغ رسالاته، وذَكَر نُصْحَهم لأُمَمِهم، وحِرْصِهم على اجتماعهم على الإسلام، ونَهيهم (عن)[1] التفرُّق

---

(١) في الأصل: (وعن).

والاختلاف مما هو كثير في القرآن.

وكذلك النبيُّ ﷺ قد أَبْدَى في الأصل وأعاد، وأَمَر باجتماع العباد، ونهى عن التفرُّق فالمُفْضي إلى الفَسَاد، فقال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لا تَحَاسَدوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَباغَضوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عباد اللَّه إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمُه، ولا يَخْذُله، ولا يَكْذِبه**»[1].

وفي صحيح مسلم، عن تَميم الداري، قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ، يقول: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن يا رسول اللَّه؟ قال: «**للَّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2][3].

ومِنْ أعظم النصيحة للمسلمين: السعيُ في تأليف

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٤٦٥٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) قال ابن الصلاح في النصيحة: «إنها كلمة جامعة، تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلًا». انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٢).

قلوبهم، واجتماعهم، ونهيُهم عن التفرق.

وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه للأنصار منبِّهًا لهم بمنَّة اللَّه عليهم، وبهدايتهم واجتماعهم وغِنَاهم بسَبِبه: «**يا مَعْشَرَ الأنصار، ألم أَجِدْكُم ضُلَّالًا؛ فهَدَاكُمُ اللَّه بي، متفرِّقين، فجَمَعَهم اللَّه بي، عالةً؛ فأغناكم اللَّه بي**»[1]. كلمَّا قال شيئًا، قالوا: اللَّه ورسوله أَمَنُّ.

وقال النبيُّ ﷺ -محذِّرًا لأصحابه عن تبليغه الكلام المغيِّر للقلوب-: «**لا يبلغني أحدٌ عن أَحَدٍ شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصَّدْر**»[2].

وقال -لَمَّا شاوره بعض أصحابه في قَتْل بعض المنافقين-: «**لا يتحدثُ الناسُ أنَّ محمدًا يقتلُ أصحابَه**»[3]؛ أي: لما فيه من التنفير عن الإسلام، لِمَن لَمْ يُسْلِمْ، فتركهم، وهم مستحقُّون للقَتْل تأليفًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٥)، ومسلم (١٧٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٧١)، وأبو داود (٤٢١٨)، والترمذي (٣٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) (٤٥٢٥)، ومسلم (١٧٦١) (٤٦٨٢).

وكان ﷺ يُوصي مَنْ يبعثه للدِّعاية لدينِ الإسلام، وتعليمِ الشرائع، فيقول: «**بشِّرُوا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وتَطَاوَعوا ولا تَخْتَلِفُوا**»[1].

وقال: «**ولا تَخْتَلِفوا فتختلفَ قلوبُكم**»[2]. فأخبر أنَّ الاختلافَ الظاهرَ سببٌ لاختلافِ الباطن.

وقال ﷺ: «**إنَّما أهلك الذين من قبلكم، كثرةُ مسائلهم، واختلافُهم على أنبيائهم**»[3].

وكلُّ هذه الأحاديث في الصحيح، وتواتر عنه ﷺ النهيُ عن الخروج على ولاة الأمور، والسَّمْع والطاعة لهم، وإن ظَلَموا وعَصَوْا[4]، وما ذاك إلا لِمَا في الخروج عليهم من

(١) أخرجه مسلم (٣٢٦٢)، وأبو داود (٤١٩٥)، بدون زيادة: «وتطاوعوا ولا تختلفوا»، وأخرجه أحمد (١٨٨٦٨) باللفظ أعلاه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٤)، والترمذي (٢١١)، والنسائي (٧٩٨)، وأبو داود (٥٦٨)، وابن ماجه (٩٦٦)، وأحمد (٤١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٤٤)، ومسلم (٤٣٤٨) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦١١)، ومسلم (٣٤٢٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**على المَرْء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكَرِه، إلا أن يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سَمْعَ ولا طاعةَ**». =

الشَّرِّ العظيم.

وقد أمر اللَّه ورسولُه باجتماع المسلمين في كثير من العبادات، كالحجِّ والأعياد والجُمعة، والجماعة لما في اجتماعهم من التوادُد والتواصُل، وعدم التقاطُع، ونهى اللَّه ورسولُه عن الغيبة والنميمة والسِّعاية والتقاطُع والخيانة والحسَد والحقد، ونحوها لما فيها من الفساد، وتشتُّت العباد، وأمر بالإصلاح بين الناس بكلِّ طريقٍ حتى إنه أباح الكذبَ المتوصَّل به للإصلاح لما فيه من الصلاح[1].

= وأخرج البخاري (٦٦٠٩)، عن أنس بن مالك ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأن رأسه زبيبة».

وأخرج البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٣٤٣٩)، عن ابن عباس ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ رأى من أميره شيئًا، فليَصْبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية».

وأخرجه مسلم (٣٤٣٣)، عن وائل بن حجر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

(١) أخرجه الترمذي (١٨٦١)، وأبو داود (٤٢٧٤)، وأحمد (٢٦٠١٠)، عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس. فقال خيرًا أو نمى خيرًا». واللفظ للترمذي، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: حسن صحيح.

وبالجملة: فمن تأمَّل سيرةَ الرسول ﷺ في معاملاته للخلق مُسْلِمِهم وكافرِهم، قريبِهم وبعيدِهم من لِينِ الجانب، والسَّماحةِ التامَّة، والخُلُق العظيم بالعفوِ عن أهل الجرائم[1]، وتأليف الخلق للدخول في دين الإسلام، وإعطاء المؤلفة قلوبهم؛ ليُسْلِموا ويَقْوَى إيمانُهم[2]، وتركُه كلَّ ما فيه تنفيرٌ حتى إنه ﷺ يترك الأفضلَ الأكملَ، ويفعل ما دونه مراعاةً لقلوب الخَلْق.

---

(١) مثال ذلك عفوه ﷺ عن أهل مكة عام الفتح، وقوله ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء». انظر «البداية والنهاية» (٤/ ٦٩٦)، ط. دار المعرفة.
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (٣/ ٤٩٧): «ورسول اللَّه ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمرٌ كان يختصُّ بحالِ حياته ﷺ، وكذلك ترك قتلَ من طَعَن عليه في حكمه، بقوله في قصة الزبير وخصمه: «أن كان ابن عمتك». اهـ
قلت: قصة الزبير وخصمه أخرجه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، في إعطاء النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم.

وقد كان هَمَّ في بُنيان الكعبة على قواعد إبراهيم، فقال لعائشة: «لولا أنَّ قومَك حديثو عهد بجاهلية؛ لنقضتُ الكعبةَ، وجعلتُها على قواعد إبراهيم»[(١)(٢)].

فمن تأمل هذا عرف أنه ﷺ بُعِثَ بالحنيفية السَّمْحة[(٣)]، فإذا علمتَ ذلك عرفتَ أنَّ من أهمِّ قواعد الدين، وأجلِّ شرائع المرسلين: النصيحةَ لكافَّة الأمة، والسَّعيَ في جمع كلمة المسلمين، وحصولِ التآلُف بينهم، وإزالة ما بينهم من التباغُض والتشاحُن والإحن.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣)، ومسلم (٢٣٦٩).

(٢) قال ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٠٧): «ويستحبُّ للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا -الكلام على الجهر بالبسملة أو يسرُّ بها-، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٢٦٠)، عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ولكني بُعثت بالحنيفية السَّمْحة».

وأخرجه أحمد (٢٣٧١٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «إني أُرسلت بحنيفية سمحة»..

وأنَّ هذا الأصلَ من أعظم معروفٍ يُؤمَر به، وإضاعته[١] من أعظم منكر يُنهَى عنه، وأن هذا من فروض الأعيان اللازمة لكلِّ الأمة: علمائِها وولاتِها وعوامِّها؛ بل هي قاعدةٌ لا يتمُّ الإيمان إلا بها، فتجب مراعاتُها علمًا وعملًا، وإنما كان الأمر كذلك لما في ذلك من المصالح الدينية والدنيوية، التي لا يمكن حصرُها، وفي إضاعته من المضارِّ الدينية والدنيوية ما لا يمكن عدُّها فلذلك عقدتُ لهذا فصلين:

(١) في الأصل (وتركه) وجاء في الهامش «وإضاعته صح».

فصل
في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع والتباغض والتهاجر ومضارها

لا يستريب عاقل أن اللَّه -تبارك وتعالى- لم ينهنا عن أمرٍ من الأمور إلا وفيه من المفاسد العامة والخاصة ما أوجبته حكمته ورحمته.

فأولُّ مضارِّ التشاحُن والتباغُض والاختلاف: إضاعةُ هذا الأصل العظيم، ومعصيتُه اللَّه ورسوله المُوجب للعقاب، وحِرْمان الثواب، ونقصانُ الإيمان، وحصولُ الحَسْرة والخُسْران، وإهمالُ ما دلت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

ومنها: ما يترتب عليها من الاقتتال، والاختصام، والمُوَالاة، والمُعَاداة، التي تجعل المسلمين فِرَقًا، كلُّ فريقٍ يريد نُصْرةَ قولِهِ بحقٍّ أو باطلٍ؛ فيحصل بذلك من ارتكاب

الخطأ، والضلال والهوى من المفاسد العامة والخاصة ما لا يعلمه إلا اللَّه.

ويترتب على ذلك: تركُ الحقِّ الذي مع المُنازع نصرةً للَّهَوى، وبغضًا للشَّخْص الذي جاء به فيوجب له بغضَ ما معه من الحَقِّ، ويحصل بسبب ذلك من الغيبة والنميمة والسِّعاية ما هو من أكبر المعاصي، ويتحيَّر مريد الهدى، حسَنُ القصد، إذا كان قليلَ البصيرة، فلا يهتدي لسبيله، ولا يدري أيَّ الطائفتين يتبعه في قِيلِه.

ويجد سيئُ القَصْد المتبعُ لِهَوَاه مَجَالًا يجولُ فيه بأعراض العلماء والصالحين، وولاة أمور المسلمين، فينتسب بقوله لطائفةٍ ويتلبَّس بلباسِها على قلب منافق مكَّار مخادع، فيتوصَّل بذلك إلى مقاصدِه الخبيثة، ويبذُر في قلوب من انتسبَ إليهم ما يقدر عليه من البذور التي تنتج الخزي والفضيحة، وليس الأسف على هَلَاكِ مَنْ هذا شأنُه، وهذا غايةُ قَصْدِه، فإنه بسبيلِ مَنْ هَلَك، وإنَّما الأسفُ كلُّ الأسفِ لمن يلقي إليه سَمْعَه ويمكِّنه من قلبِه ولُبِّه، ويصغي إليه ظانًّا نُصْحَه، وهو في الحقيقة أكبرُ عدوٍّ غاشٍّ، هذا بعضُ ما

أنتجه الاختلاف.

ومنها: أنه يستدرجُ بالمفترقين إلى المُباعدة والمُهاجرة حتى لا يتعلَّم بعضُهم من بعض، ولا ينصح بعضُهم بعضًا، فيضيع من المصالح التي هم بصَدَدِها، لو كانوا مجتمعين ما هو من أهمِّ الواجبات، وأكبر القُرُبات، وأجلِّ الطاعات إلى غير ذلك من طمع أعدائهم بهم؛ لتفرُّق كلمتهم، وتشتُّت أمرهم.



فصل
في فوائد اتفاقِ المسلمين وتحابِّهم والسَّعي في ذلك

وهذا هو المطلوب المقصود الذي جرى الكلام لأجله، وهو المقصد الذي فيه يرغبُ المصلحون، وإليه شمَّر المشمِّرون، وبه تنافس المتنافسون، ولمِثْلِه فليعمل العاملون؛ لما اشتمل عليه من المصالح العظيمة، والمهمات الجسيمة.

وبالجُمْلة: فجميعُ المَفَاسد التي ذكرتُ، والتي تُذكر في مفاسد التهاجُر والتباغُض والتدابُر بهذا الأمر تزول، وتصل بصاحبها إلى كلِّ خير وتؤول، فبه تحصل الخيرات، وتنزل البركات، وتُستجاب الدعوات، وتبدَّل السيئات بالحسنات.

وباتفاق كلمة المسلمين يجتمع شملُ الدين، ويحصل

لهم بذلك في الأرض العزُّ والتمكين، وبه يزيد الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قولٌ وعملٌ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والسَّعيُ في هذا من أكبر الطاعات، فيزيد به الإيمان درجاتٍ، وبالتآلف والاجتماع يحصل التعاون على جميع خصال البرِّ والتقوى والخير، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والقيام، والصدقة؟**». قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «**إصلاح ذات البَيْن، فإن فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالقة**»[١]. وفي رواية: «**لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين**»[٢]. فأيُّ درجةٍ أعظمُ من هذه الدرجة، التي زاد بها على أمهات

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وأبو داود (٤٢٧٣)، وأحمد (٢٦٢٣٦)، ومالك (١٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٤)، وأحمد (١٣٣٨، ١٣٥٥).

الفضائل، الصلاة والصيام، والصدقة.

وقال النبي ﷺ: «**والله لا تدخلوا الجنة، حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[1].

فرتَّب ﷺ دخولَ الجنة على وجود الإيمان، ورتَّب وجودَ الإيمان على حصول التحابِّ الذي هو سببُ الائتلاف، ونبَّه على الدواء لهذا بإفشاء السلام؛ لأن لين الكلام الذي من أجله إفشاء السلام من أكبر الدواعي لذلك.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٨)، وابن ماجه (٣٦٩٢)، وأحمد (٩٠٧٣).

فصل

إذا عُلِم هذا، فالواجب على المسلمين عمومًا، وعلى أهل العلم خصوصًا أن يَسْعَوْا في هذا الأمر، ويتحمَّلوا من أجله المشاقَّ، ويبذلوا جُهْدَهم وطاقتَهم في حصول التوادُد، وعدم التقاطُع والتهاجُر ويرغِّبوا غيرهم فيه امتثالًا لأمر اللَّه، وسعيًا في محبوبه، وطلبًا للزلفى لديه، فيوطِّنوا أنفسَهم على ما ينالهم من الناس من الأذية القولية والفعلية، مع أنها ستنقلب -إن شاء اللَّه- راحةً ومواصلةً دينية.

ويقابلون المسيء إليهم بالعَفْو عنه والصَّفْح، وسلامة النَّفْس، ولا يعاملوه بما عامَلَهم به؛ بل إذا عامَلَهم بالبُغْض عاملوه بالمَحَبَّة، وإن عاملهم بالأذى عاملوه بالإحسان، وإن عاملهم بالهَجْر، وتَرْك السلام، عاملوه ببَذْل السلام والبَشَاشة، ولين الكلام، والدعاء له بظَهْر الغيب، ولا يطيعوا أنفسهم الأمَّارة بالسوء بمعاملته من جِنْس ما عاملهم به، فليست هذه حالة الأنبياء وأتباعهم؛ بل حالهم

العفوُ والصَّفْح عن أهل الجرائم كما ذكر النبي ﷺ عن حال النبيِّ الذي ضربه قومُه حين دعاهم إلى اللَّه حتى أَدْمَوْه، فجعل يمسحُ الدَّمَ عن وجهه، ويقول: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

هذا -واللَّهِ- الفخر الكامل الذي يبني لصاحبه في الدنيا الثناءَ الجميلَ، وفي الآخرة الثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢].

ويحثّ على مقابلة المسيء بالعَفْو، في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

فإذا وُفِّقَ المسلمون لهذه الحال جمع اللَّه شملَهم، وألَّفَ بين قلوبهم، وهداهم سُبُلَ السلام، وأخرجهم من ظلماتِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

الجهل والظُلْم والضلال إلى نور العلم والعدل والإيمان.

ويجب عليهم إذا رأوا صاحبَ هوًى يريد أن يشقَّ عصا المسلمين، ويفرِّق بينهم؛ لنيل غرضٍ من أغراضه الفاسِدة، أن يَقْمَعوه وينصحوه ولا يلتفتوا لقوله، فإنَّ مَنْ هذا حالُه أكبر الأعداء.

وأن يحرصوا غايةَ الحرص على سَتْر عوراتِ المسلمين، وعدم تَتَبُّعِها؛ خصوصًا ما يصدُر من رؤساء الدِّين والعلماء وطلبة العلم الذين لهم الحقُّ الأكبر على جميع المسلمين بما قاموا به من تعلُّم الشرع وتعليمه، الذين لولاهم ما عرف الناس أمرَ دينهم ومعاملاتهم، فلولاهم لم يعرفوا كيف يُصلُّون ويُزكُّون ويصومون، ويحجُّون؛ بل لا يعرفون كيف يبيعون ويشترون؛ بل لولاهم لكان الناس كالبهائم لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، ولا عرفوا حلالًا ولا حرامًا.

فالواجب على المسلمين: احترامُهم، وكفُّ الشرِّ عنهم، وقمعُ من يريدهم بأذى، والتغاضي عما يصدُر منهم بسَتْره وعدم نَشْره؛ لأنَّ نَشْرَه فسادٌ عريض.

واعلم أن للخير والشرِّ علاماتٍ يُعرف بها العبدُ.

فعَلامةُ سعادة الإنسان: أن تراه قاصدًا للخير؛ لكافة المسلمين، حريصًا على هدايتهم ونصيحتهم بما يقدر عليه من أنواع النُّصْح، مُؤْثِرًا لستر عوراتهم، وعدم إشاعتها، قاصدًا بذلك وجه اللَّه والدار الآخرة.

وعلامةُ شَقاوَة العبد: أن تراه يسعى بين الناس بالغيبة والنميمة، ويتتبَّع عثراتهم، ويتطلَّع على عوراتهم، فإذا سمع بشيء صَدَر منهم من المكروه أَشَاعَه وأَذَاعه؛ بل ربما نَشَر معه شرحًا من ابتداعه، فهذا العبدُ بشَرِّ المنازل عند اللَّه مَقيتٌ عنده، متعرِّضٌ لمساخطه، يوشك أن يفضحَه في دنياه قبل أُخراه، إن لم يتدارك نفسَه بالتوبة النَّصُوح، وتبديل السيئات بالحسنات.

فحقيقٌ بمَنْ لنفسِه عندَه قِيمةٌ أن يَرْبأَ بها عن هذه الخصلة الذميمة، ويتأمَّل معنى قوله ﷺ: **«مَنْ سَتَر مسلمًا سَتَرَه اللَّه في الدنيا والآخرة»**[1]. وقوله ﷺ: **«يا معشر مَنْ آمَنَ بلسانه**

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجه (٢٢٥)، وأخرج البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ومن سَتَر مسلمًا ستره اللَّه يوم القيامة»**.

ولم يدخل الإيمانُ قلبَه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبَّعوا عوراتهم؛ فإنه من تَتَبَّع عورةَ أخيه تَتَبَّع اللَّه عورتَه، ومن تَتَبَّع اللَّه عورتَه يفضحْه ولو في جوف بيته»[١].

هذا الوعيدُ الشديدُ في عموم المسلمين، وأما العلماءُ والصالحون فالوقوع بهم أقبحُ وأقبحُ، وهو علامةُ معاداةِ اللَّه ومحاربته؛ لأن اللَّه قال على لسان رسوله ﷺ: **«مَنْ عادي لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب»**[٢].

وقد قال بعضُ السلف: «إن لم يكونوا العلماء أولياء اللَّه، فلا أدري من هم أولياؤه»[٣].

وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن ولاية اللَّه إنما تُنال بحسب قيام العبد بأوامر اللَّه تعالى، ولأهل العلم من هذا أكبرُ نصيب، فإنه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وابن ماجه (٣٩٨٩).

(٣) قال القاري: هو من كلام أبي حنيفة، والشافعي، وأخرجه البيهقي عن الشافعي بلفظ: «إن لم تكن الفقهاء أولياء اللَّه في الآخرة فما للَّه ولي». انظر: «كشف الخفا» (١/ ٢٥٩).

لا يكاد ينالُ العبدُ طرفًا من العلم يصير فيه رئيسًا حتى يجتهدَ ويجدَّ ويمضي عليه زمنٌ طويلٌ، وهو متجرِّد لطلب العلم تاركًا لما عليه أهلُ الدنيا، مستغرقًا لأكثر أوقاته وأشرف ساعاته بالاشتغال بالعمل الذي هو بنفسِه أجلُّ الطاعات، وهم أحرى بولاية اللَّه من غيرهم! فكيف يُمكّن بالقَدْح فيهم من غلبت عليه الشقاوةُ، وأفنى زمانه بالقيل والقال، ولم يضرب مع الصالحين بسهم من نفائس الأعمال، فلا تراه باحثًا عن أمر دينه ولا مجالسًا للعلماء على وجه الاستفادة منهم؛ بل لو سُئلَ عن أدنى مسألة من أمر دينه لم يَنْطِقْ ببِنْتِ شَفَةٍ، ومع هذا فقد أطلق لسانه بثَلْبِ العلماء، وأهل الدين زاعمًا فيما قاله إنه مصيبٌ؛ نعم قد أصابَ طريقَ أهل الشرِّ، والتحق بالحيوانات الخسيسة التي تترك الأطعمةَ الطيبةَ، وتذهب إلى الجيفةِ ونحوها من الأطعمة الخسيسة؛ لتركه المحاسن، وإقباله على ما ظنه مساوئَ، وانحرف عن طريق أهل الخير فليس بكفؤٍ أن يُذكر معهم[1]، وإنما يُذكر

---

(١) قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «حق على العاقل ألا يستخف بثلاثة: العلماء، والسلاطين، والإخوان، فإنه من استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن=

لئلا يغتر به المغترُّون، ويقع بشبكته الجاهلون، ولعلَّه أن يرتدعَ ويتوبَ ويقلعَ إلى ربِّه وينيبَ، فليس على طريق التوبة حجابٌ، ولا ذنب إلا وراءه مغفرةُ الملك الوهاب لمن تاب وأناب.



= استخفَّ بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته». رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥١)

«واعلم يا أخي -وفقنا اللَّه مرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقه حق تقاته- أن لحوم العلماء رحمة اللَّه عليهم مسمومة، وعادة اللَّه في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره اللَّه منهم لنشر العلم خلق ذميم». انظر: «تبيين كذب المفتري» (ص ٢٨).

فصل

ومن أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل العلم: ألَّا يجعلوا الاختلاف بينهم في المسائل الدينية -التي لا يخرج المخالِفُ فيها إلى البدع أو الشرك- سببًا وداعيًا إلى التفرُّق، وتشتيت القلوب وموجبًا للقَدْح والطَّعْن بسببها، والموالاة والمعاداة عليها، فإنَّ هذا ظلمٌ وتعدٍّ لا يحلُّ بإجماع المسلمين، فما زال السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين فَمَنْ بعدَهم يختلفون في مسائلِ الدين، ولا يُنكِر بعضهم على بعض، ولا يُوجِب بعضُهم على بعض أن يتَّبعَه وإلا ضَلَّله[1]، فإن هذه مرتبةٌ لا تصلح إلا للرُّسُل، فهم الذين

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ١٧٢-١٧٣): «كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر اللَّه تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة=

يُضَلَّل مُخالفُهم، وأما مَنْ عداهم[١] فلم تُضْمَن له العِصْمة.

ومن رحمة اللَّه بعباده: أن جَعل اختلافَ هذه الأمة رحمةً ليُثيبَ المُصيبَ، ويعفوَ عن المُخطئِ، واتفاقُهم حجةٌ ونجاةٌ وعِصْمةٌ.

فالواجب على أهل العلم: أن يبذلوا جُهْدَهم بتحرِّي الحَقِّ والصَّوَاب، وألَّا يُضَلِّلوا المُخالَفَ لهم مثلهم أخطأ أو أصاب[٢].

= العلمية والعملية مع بقاء الأئمة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة، خلافًا لا يعذر فيه، لهذا يعامل بما يعامل أهل البدع».

(١) في الأصل: «عاداهم» وفي هامشه: «لعله عداهم».

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٢٣): «ومذهب أهل السنة أنه لا إثم على من اجتهد، وإن أخطأ».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٥/ ٦٩): «وأما من اجتهدوا فيه فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا لهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطئوا فلهم أجر على اجتهادهم، وخطؤهم مغفور لهم، وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلون فيهم ويقولون: إنهم معصومون، وتارة يجفون عنهم، ويقولون: إنهم باغون بالخطأ، وأهل العلم والإيمان لا يُعصَمون ولا يؤثمون».

وهذا في جميع المسائل التي تعارضت فيها أقوال سَلَف الأمة بحسَب ما أدَّاهم إليه اجتهادُهم، وذلك مثل مَنْ يرى أنَّ الماءَ لا ينجُس إلا بالتغيُّر بالنجاسة، لا يجوز له القَدْح فيمن يرى أن ما لم يَبْلُغ قُلَّتَيْن ينجُس بمجرد الملاقاة وبالعكس، وكذلك مَنْ يرى أنَّ الماءَ المستعمَل في رَفْع الحَدَث يصير طاهرًا غير مطهِّر، لا يُضلِّل مَنْ يراه طاهرًا مُطهِّرًا وبالعكس، ولا مَنْ يرى أن الصلاةَ في الثوب النَّجِس ناسيًا تُعاد، على مَنْ لا يرى الإعادة وبالعكس، ولا مَنْ يرى وجوبَ صَوم ليلة الثلاثين من شعبان في الغَيْم، على مَنْ يرى استحبابَ الفِطْر، أو إباحتَه ولا بالعكس، ولا من يُبيح فعلَ النَّوافل ذواتِ الأسبابِ في أوقاتِ النَّهْي على مَنْ يمنعها وبالعكس، وأمثال هذه المسائل التي لم يزل [الخلاف][1] فيها بين السلف، وإلى الآن، فلا يحل لمن يرى أحَدَ القولين فيها أن يُنكر على غيره على وَجْهِ القدح به، فإنَّ هذا ظلمٌ لا يجوز؛ بل وظيفةُ أهل العلم في مثل هذه المسائل

---

(١) في الأصل: «الخلائق».

الخلافية أن يبينوا ما يرون أنه الصحيحُ بحسَب قدرتهم بالدليل الشرعي الذي هو الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار بالقياس والحكم [وضعف العقل [ ](١) بالدليل الشرعي](٢)، وأن يَرْدَعوا مَنْ جعل هذا الخلاف سُلَّمًا للاختلاف لأنه بعيد عن الإنصاف، نعم إنْ ظهرَ من أحدٍ من أهل العلم مخالفةٌ بيِّنة لدليلٍ شرعيٍّ صريحٍ، فإنه يجب نُصْحُه، ويُبيَّن له الدليل الشرعي بأقرب الطُّرُق، ولا يجعل تأنيبَه أو غيبتَه في المجالس بدلًا من نُصْحِه، فليست هذه طريقةُ أهل الإنصاف، بل طريقتُهم النصيحة سِرًّا، وعدمُ إشاعة الفاحشة(٣).

---

(١) كلمة لم تتضح لي.

(٢) لعل في العبارة سقطًا، ولم يتضح المعنى لدي.

(٣) **قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في «الرياض الناضرة» (ص١٠٩):**
«فإن أهل العلم الحقيقي قصدهم: التعاونُ على البر والتقوى، والسعيُ في إعانة بعضهم بعضًا في كل ما عاد إلى هذا الأمر وستر عورات المسلمين، وعدمُ إشاعة غلطاتهم، والحرصُ على تنبيههم بكل ما يمكن من الوسائل النافعة، والذبُّ عن أعراض أهل العلم والدين، =

وبالجملة : فالواجب على أهل العلم وغيرهم : السعيُ في معرفة الحقِّ، والاجتهادُ في تنفيذه والعمل به، والتعاونُ على ذلك، وأن يحبَّ أحدُهم لأخيه ما يحبُّ لنفسه، سواءً وافقه أو خالفه، فكما أنه إذا وقع منه خطأٌ وزلَلٌ لم يحبَّ اطلاع أحدٍ عليه؛ بل يحرص على سَتْرِ نفسِه؛ فكذلك ينبغي أن يُنْزِلَ أخاه منه بهذه المنزلة، وأن يجعلَ ما يصدر منه على أحسن مَحْمَل، فإن الجزاء من جنس العمل، فمَنْ كان عملُه مع إخوانه هكذا؛ سَتَرَ اللّه عليه -بأسبابٍ يعلمها وأسبابٍ لا يعلمها- سترًا لا يحصُل لمن لم يكن بهذه المثابة، فكما تدين تُدانُ، جزاءً وفاقًا[1].

= ولا ريب أن هذا من أفضل القربات، ثم لو فرض أن ما أخطئوا فيه أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عذر لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحاسن وتمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير وفساد مستطير، أي عالم لم يخطئ وأي حكيم لم يعثر».

(١) وللمؤلف الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الفتاوى السعدية (٦٣٢) كلام جميل حول الموضوع أنقله هنا لعلاقته به، وأهميته، =

= قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أهم ما يتعيَّن على أهل العلم معلِّمين أو متعلِّمين السعيُ في جَمْع كلمتهم، وتأليفُ القلوب على ذلك، وحسمُ أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم، وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم يسعون له بكل طريق؛ لأن المطلوب واحد، والقصد واحد، والمصلحة مشتركة، فيحقِّقون هذا الأمر بمحبَّة كل من كان من أهل العلم، ومن له قدم فيه، واشتغال أو نفع ولا يدعون الأغراض الضارَّة تملكهم، وتمنعهم من هذا المقصود الجليل، فيحبُّ بعضهم بعضًا ويذبُّ بعضهم عن بعض، ويبذلون النصيحة لمن رأوه منحرفًا عن الآخرة، ويبرهنون على أن النزاع في الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف لا تُقدَّم على الأمور الكليَّة التي فيها جمع الكلمة، ولا يَدَعُون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكَّنون من إفساد ذات بينهم، وتفريق كلمتهم، فإنَّ في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع ما لا يعدُّ ولا يحصى، ولو لم يكن فيه إلا أن هذا هو الدين الذي حثَّ عليه الشارع، بكلِّ طريق، وأعظم من يلزم القيام به أهله، وأنه من أعظم الأدلة على الإخلاص والتضحية اللذين هما روحُ الدين، وقُطْبُ دائرته . . . ، وفيه أيضًا من تكثير العلم، وتوسعة الوصول إليه، وتنوُّع طُرُقه ما هو ظاهر، فإنَّ أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تمكن أن يتعلَّم بعضهم من بعض، وأن يعلِّم بعضهم بعضًا، وإذا كان كل طائفة منهم منزوية عن الأخرى، منحرفة عنها؛ انقطعت الفائدة، وحل محلَّها ضدُّها من حصول البغضاء والتعصُّب، =

فنسأل اللَّه أن يوفِّقنا وإخواننا المسلمين لما يحبُّه ويرضاه، وأن يُصلحَ أحوال المسلمين، ويؤلِّفَ بين قلوبهم، ويهديَهم سُبَلَ السلام، والحمدُ للَّه ربِّ العالمين، وصلى اللَّه على محمد وسلم.

* * *

= والتفتيش من كل منها عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها، والتوصل به للقَدْح وكلٌّ هذا منافٍ للدين والعقل، ولما عليه السلف الصالح حيث يظنُّه الجاهلُ من الدين . . .». .

فائدة مهمة[١]

اعلم أنه ينبغي للمعلِّم أن يفتحَ للمتعلِّمين بابَ البحث والمراجعة والانتقاء في المسائل العلمية، فإنَّ في ذلك من المصالح الدينية ما لا يدخلُ تحت الحَصْر.

فمنها: أن ذلك من باب التعاوُن على البرِّ والتقوى؛ لأن مصالح الدارين لا تتم إلا بالتعاون عليها، فالمسائل العلمية لا تتمُّ إلا بذلك، وهي بدونه في غاية النَّقْص.

ومنها: أن ذلك يُوجب لهم التهذُّب والتدرُّب على المُعارَضة، والاستدلال والترجيح والتضعيف، فتتَّقِد بذلك أفكارُهم، ويحصلُ لهم مَلَكَةٌ يقتدرون بها على الإيراد والجواب، فبالامتحان تَنصَقِلُ الأذهانُ.

ومنها: أنَّ في إهمال المعلِّم لهذا، وجَبْلِ المتعلِّمين على تلقِّي جميعِ ما يقوله بالقبول، وعدمِ المعارضة له فيما تحقَّقوا

(١) فائدة ملحقة بالرسالة.

وظنُّوا أو شَكُّوا فيه، فيه غلقًا لباب الفائدة للمعلم والمتعلم.

أما المتعلِّم فظاهرٌ، فإنه إذا ما يُعارض ويبحث لم يهتدِ إلى الصواب، إلا في المسائل الواضحة البسيطة، وأما المسائل التي تحتاج إلى تحرير وتقرير وجواب وإيراد فبابُها عليه مسدود؛ بل ربما أن المتعلِّم الذي قد تقرَّرت عنده المسألة على صوابها إذا رأى معلِّمَه قد خالف ما عنده ولم تحصل منه المباحثة المذكورة قد يشك فيما عَلِمَه أو يعتقد خلاف ما ظنه من الصواب كما هو الواقع.

وهذه الحال إذا استمر عليها المتعلِّمون خمدت أذهانُهم وأفكارُهم فيكونُ الذكيُّ الفطنُ جامدَ الذِّهنِ خاليَ القريحة، وذلك أن القوةَ المفكِّرة إذا لم تشتغل بالتفكُّر والتذكُّر، وإعمالِها فيما هي مُهيَّئةٌ له بَطَلَ عملُها، بمنزلة بقية الجوارح التي إذا توالى عليها السُّكون والكَسَل لم تنفع صاحبَها، وأسرع إليها الفساد، فإذا أُعملت فيما هي مستعدةٌ له ترتبت وازدادت وترقَّت على الدوام.

وأما غَلْقُه لباب الفائدةِ من المعلِّم فأظهر وأظهر، فإنه يسدُّ على نَفْسه أبوابًا وطُرقًا من الخير قد كان يمكنه تحصيلها

بأسهل شيء، فإنه إذا حصلت المباحثة والمراجعة المذكورة بينه وبين المتعلِّمين لم يَعْدِم بذلك أن يستفيدَ منهم عِلْمًا حادثًا أو يتذكَّر عِلْمًا منسيًّا أو يتضح له ما كان مُشْكلًا، أو يتوقَّف بسبب ذلك عن قول كان يجزم به على خلاف الصواب.

ومنها: أنه يوجب له التيقُّظَ والاحترازَ فيما يقولُه وينقلُه، فإنه إذا علم أنه إذا قال قولًا أو نقل شيئًا لم يعارض ولم يوقف بوجهه؛ بل يقبل على أيِّ وجه كان تساهُل في ذلك فقال ونقلَ ما اتفق له غير مراعٍ للصواب، فيحصُل منه الخطأ والغَلَط شيءٌ كثير.

وإذا علم أنه يُعارَض تنبَّه وتحرَّز وتحرَّى في قولِه ونقلِه بحسَب قدرته.

ومنها: أنه يوجِب له كثرةَ المُطالَعة والبحث والتفتيش والتنبُّه لكل ما يخطُر بباله أنه سيتكلم به.

ومنها: أنه يتحسَّن بذلك خُلُقَه، ويصيرَ له ملكةً لتحمُّل ما يَرِد عليه من الاعتراضات، فإنَّ صاحبَ المنصب العالي على غير الذي يرد غيره تبعًا له لا يكاد يتحمل ممَّن دونه إذا عارضه؛ بل منصبُه يُوجِب له النَّفْرة من الاعتراض عليه ممَّن

هو مثله أو فَوْقه؛ فكيف بمَنْ هَوَ دُونَه فيخاف عليه لسبب ذلك مِنْ ردَّ الحق ونَصْر الباطل الذي يعلمه ويغلبُ هذا السبب ما هو عليه من الديانة كما هو مشاهد.

ولهذا من أدَّب المعارض لِمِنْ هذه حاله إذا استبان للمعارِض أن الصواب معه ألا يكون ذلك بصورة المعارضة؛ بل بصُورة السؤال والاسترشاد والتنبيه على الصواب بألطف الطُّرق التي توجب القبول، فإذا وَطَّنَ نفسَه على حصول المعارضة وعدم المبالاة بها؛ بل الحرص عليها، وأَوْعَز[1] للمتعلِّمين أن يعارضوه بما يرون أنه معارض لقوله تدرَّب بذلك، وصار له ملكةٌ قويةٌ على ذلك بحيث لا يُبالي بالمعارضة من صغير وكبير؛ بل قد تراه يقول القول في الملأ جازمًا به ثم يظهر له عكس ما جزم به، فيبديه غير خَجَلٍ ولا مُكْتَرث؛ بل قصدُه الوصولُ إلى الحقِّ والنصيحة للخلقِ؛ وحبذا حالٌ توصل العبد إلى هذا الخلق الذي لا يَلْقاه إلا ذو حظ عظيم.

(١) في الأصل: «وأوزع».

ومنها : أنَّ المعلمَ إذا هذَّب المتعلِّمين على هذه الطريقة الحَسَنة، أو غيرها من الطرق الحَسَنة صار سببًا لاستمرار هذه الحالِ فيمن تعلَّم منهم، وتربَّى بهم؛ لأنهم يربُّونه على ما تربَّوا عليه، فيحصل له من الخير ما لا يعلمه إلا اللَّه .

ومنها : أنه يعرف بذلك مراتبهم ودرجاتهم في التحصيل، ومعرفة مراتب الناس من أهمِّ الأمور خصوصًا مَنْ له التدبير فيهم فإنه يحتاج؛ بل يضطر إلى ذلك؛ لأجلِ عملِه فيهم؛ لأن عملَه لا يتمُّ إلا بتنزيلهم منازلَهم، وإعطاءِ كل ما يستحقه .

ومنها : أنَّ ذلك يوجبُ الثقةَ بقَوْلِه؛ لأن مَنْ وُفِّق لهذه الحالة وُفِّق للصواب .

وأما مَنْ سدَّ على نفسِه هذا البابَ، فقد حصل على غاية الحرمان من العلم والعمل والثواب والخطر العظيم بسبب سوء الخُلُق الذي يؤثِّر ما يؤثِّر، وسوء التعليم، وقلة النتيجة، وعدم النصيحة التي هي أسُّ التعليم؛ بل أُسُّ كلِّ عملٍ؛ والإعجابُ بالنفس وعدمُ الثقة بقولِهِ، وغير ذلك، فنسأل اللَّه توفيقًا يوفقنا على الصواب،

ويصرفنا عن كل شرٍّ.

تم الكتاب، والحمد للَّه على يد معلقه الفقير إلى اللَّه:

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد اللَّه السعدي

غفر اللَّه له ولوالديه ولجميع المسلمين

اللَّهم صل على محمد وسلم (٦/ جا/ ١٣٤٣)

***

الفهرس

* * *



دار سبيل المؤمنين

عين شمس القاهرة جمهورية مصر العربية

جوال / ٠٠٢٠١٠٠٧٦١٠٠٩٩ - ٠٠٢٠١١٤٠١١٠٠٩٩

www.darsabilelmomnen.com

E-mail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com